س - لماذا فزع الصحابة عند قوله تعالى: ﴿ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ ﴾ [البقرة:٢٨٤] ؟

جـ - فى صحيح مسلم عن ابن عباس، لما نزلت هذه الآية دخل قلوب الصحابة منها شيء لم يدخل قلوبهم من شيء - يعنى شيء كبير - فقال ﷺ: «قولوا سمعنا وأطعنا وسلمنا» فألقى الله فى قلوبهم الإيمان، وأنزل ﴿ **لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا** ﴾ [البقرة:٢٨٦] قال: قد فعلت ربنا ولا تحمل علينا إِصْرًا كما حملته على الذين من قبلنا. قال: قد فعلت، «ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين» قال: قد فعلت، فلما فعلوا ذلك نسخها الله ثم أنزل «لا يكلف الله نفسا إلا وسعها».

وقد اختلف المفسرون فى نسخ هذه الآية ﴿ **وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ** ﴾ [البقرة:٢٨٤] أو عدم نسخها ورجح الطبرى أنها محكمة، وقال ابن عطية: هو الصواب، لأن المحاسبة تكون على ما فى وسع الإنسان وتحت كسبه. والخواطر ليست مرادة، ودفعها ليس فى الوسع، بل هو أمر غالب. وهو يتفق مع الحديث «إن الله تجاوز لأمتى عما حدثت به نفسها ما لم تعمل أو تتكلم».

الرسل

س - ما هى الحكمة فى أن يكون الرسل من البشر وليسوا من الملائكة مثلا؟

جـ - الرسل المبلغون عن الله إلى المكلفين إما ملائكة وإما إنس وإما جن، أما الملائكة فلا يمكنهم أن يقوموا بالرسالة لعدم التوافق بينهم وبين من يرسلون إليهم، وجاء النص على ذلك فى قوله تعالى: ﴿ **قُل لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكاً رَّسُولاً** ﴾ [الإسراء:٩٥] وذلك بعد قول الكافرين: ﴿ **أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَّسُولاً** ﴾ [الإسراء:٩٤] وقوله: ﴿ **وَقَالُوا**

لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْه مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكاً لَّقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لاَ يُنظَرُونَ * وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ [الأنعام:٨ ، ٩].

وأما الجن فلا يكون منهم رسل إليهم مع أنهم مكلفون، لأن جنسهم لا يستطيع أن يحقق الخلافة فى الأرض التى خلق الله لها آدم أبا البشر، فآدم وذريته هم المقصودون بهذه الخلافة بعد أن أفسد من كانوا قبلهم، والجن تبع للإنس، فلم يبق إلا الإنس يختار الله منهم رسلا إلى الإنس وإلى الجن أيضا، وقد جاء النص على أن الرسول محمد ﷺ أرسل إلى الإنس والجن، وأن بعضهم استمع إلى القرآن وآمن به. ومراعاة التوافق والتناسب بين الرسل والذين أرسلوا إليهم مذكورة فى قوله تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ** ﴾ [إبراهيم:٤]. والمكذبون للرسل عجبوا أن جاءهم منذر منهم أى من جنسهم وقالوا عن نوح عليه السلام: ﴿ **مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ * وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَراً مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَّخَاسِرُونَ** ﴾ [المؤمنون:٣٣ ، ٣٤] كما قالوا عن محمد ﷺ: ﴿ **أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَّسُولاً** ﴾ [الإسراء:٩٤].

س - هل الأنبياء معصومون قبل الرسالة ؟

جـ - جاء فى تفسير القرطبى لقوله تعالى: ﴿ **مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ** ﴾ [الشورى:٥٢] ج١٦ ص٥٥ وما بعده - أن القاضى عياض ذكر أن للناس خلافا فى عصمة الأنبياء قبل النبوة. والصواب أنهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكك فى شىء من ذلك. وقد تعارضت الأخبار والآثار عن الأنبياء بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشأتهم على التوحيد والإيمان، بل إشراق أنوار المعارف ونفحات ألطاف السعادة، كما عرف من حال موسى وعيسى ويحيى وسليمان وغيرهم. قال تعالى عن يحيى: ﴿ **يَا يَحْيَى خُذِ**

الكتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ [مريم:١٢] وقال عن عيسى الذى تكلم فى المهد : ﴿ **قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا** ﴾ [مريم:٣٠-٣٣]، وذكر أشياء عن سليمان وإبراهيم ويوسف . . . إلى أن قال : ولم ينقل أحد من أهل الأخبار أن أحدا نُبِّئَ واصطفى ممن عُرف بكفر وإشراك قبل ذلك، ومستند هذا الباب هو النقل .

ثم ذكر القرطبى أن نبينا محمدا ﷺ هل كان متعبدا بدين قبل الوحى أم لا؟ فمنهم من منع ذلك مطلقا وأحاله عقلا، لأنه يبعد أن يكون متبوعا مَنْ عُرِفَ تابعا . وبنوا هذا على التحسين والتقبيح . وقالت فرقة أخرى بالوقف فى أمره عليه السلام وتَرْكِ قطع الحكم عليه بشىء من ذلك، إذ لم يُحِل الوجهين منهما العقل ولا استبان عندها فى أحدهما طريق النقل، وهذا مذهب أبى المعالى . وقالت فرقة ثالثة : إنه كان متعبدا بشرع مَنْ قبله وعاملاً به . ثم اختلف هؤلاء فى التعيين، فذهبت طائفة إلى أنه كان على دين عيسى فإنه ناسخ لجميع الأديان والملل قبلها، فلا يجوز أن يكون النبى على دين منسوخ، وذهبت طائفة إلى أنه كان على دين إبراهيم، لأنه من ولده وهو أبو الأنبياء، وذهبت طائفة إلى أنه كان على دين موسى، لأنه أقدم الأديان . وذهبت المعتزلة إلى أنه لابد أن يكون على دين، ولكن عين الدين غير معلومة عندنا .

وقد أبطل هذه الأقوال كلها أئمتنا، إذ هى أقوال متعارضة وليس فيها دلالة قاطعة وإن كان العقل يجوِّز ذلك كله . والذى يُقطع به أنه عليه السلام لم يكن منسوبا إلى واحد من الأنبياء نسبة تقتضى أن يكون واحدا من أمته ومخاطبا بكل شريعته، بل شريعته مستقلة بنفسها مفتتحة من عند الله الحاكم عز وجل،

وأنه كان مؤمنا بالله عز وجل، ولا سجد لصنم ولا أشرك بالله، ولا زنى ولا شرب الخمر ولا شهد الساحر - موضع السحر - بل نزهه الله وصانه عن ذلك .... ومعروف من سيرته أنه كان يخالف المشركين فى وقوفهم بمزدلفة فى الحج وكان يقف هو بعرفة لأنه موقف إبراهيم عليه السلام .

ثم بيَّن القرطبى معنى ﴿ **مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ** ﴾ [الشورى:٥٢] فقال جماعة: معنى الإيمان شرائع الإيمان ومعالمه، ذكره الثعلبى، وقيل : تفاصيل هذا الشرع، أى كنت غافلا عن هذه التفاصيل، ويجوز إطلاق لفظ الإيمان على تفاصيل الشرع، ذكره القشيرى، وقيل: ما كنت تدرى قبل الوحى أن تقرأ القرآن، ولا كيف تدعو الخلق إلى الإيمان، وقال ابن خزيمة: عَنَى بالإيمان الصلاة، لقوله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ** ﴾ [البقرة:١٤٣] أى صلاتكم إلى بيت المقدس، فيكون اللفظ عاما والمراد الخصوص. وذكر أقوالا كثيرة غير هذه. ثم قال: الصحيح أنه ﷺ كان مؤمنا بالله عز وجل من حين نشأته إلى حين بلوغه، وقيل: المعنى. كنت من قوم أميين لا يعرفون الكتاب ولا الإيمان حتى تكون قد أخذت ما جئتهم به عمن كان يعلم ذلك منهم، وهو قوله تعالى: ﴿ **وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِه مِن كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لاَّرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ** ﴾ [العنكبوت:٤٨] انتهى. هذا، ويمكن الرجوع فى عصمة الأنبياء إلى الجزء الثانى من المواهب اللدنية ص٨٢ للقسطلانى والشفا للقاضى عياض.

س - هل يجب الاعتقاد بأن أول البشر هو آدم عليه السلام، وما حكم من قال: إن أول البشر على الإطلاق أنثى لا رجل ؟

جـ - اعلم أن القرآن لم ينزل ليعلم الناس حقائق علمية فى المجالات المختلفة، ولكنه نزل للإعجاز والهداية، يحدد ما يجب تحديده كالعقائد والعبادات، ويضع أصولا كلية وأوامر عامة فيما يختلف باختلاف البيئات والعصور. غير أنه

إذا وردت فيه مسائل علمية بقصد الإعجاز والهداية فإنها حق لا شك فيه. حتى لو لم يفهمها الناس، فإن جهلها لا يضر، أو أن الزمن كفيل ببيان المراد منها عندما تكتمل أدوات المعرفة. وقد نصح العلماء بعدم الإسراع لربط المكتشفات الحديثة بالقرآن، فقد تكون هذه المكتشفات ما تزال فى طور النظرية القابلة للتغيير، فلا ينبغى أن تحمل عليها آيات القرآن حَمْلاً قد يكون فيه تعسف، وقد يضر بتقدير الناس للقرآن عندما يتبين أن هذه النظريات خطأ.

وتاريخ الإنسانية الذى يشير إليه عنوان الكتاب ومحاولة معرفته عن طريق القرآن ليس من المسائل الجوهرية فى الدين، فلم يكلفنا الله بمعرفته ولم يوجب علينا اعتقاد ما ليس فيه نص عنه فى القرآن والسنة النبوية الصحيحة. وأولى بالمسلمين - خصوصا فى هذه الأيام - أن يبحثوا عن وسائل النهوض بهم ومجاراة ركب التقدم السريع على الأسس المتينة التى خططها الإسلام للوصول بالمجتمع الإسلامى إلى المستوى الرفيع، وليحقق أنهم خير أمة أخرجت للناس.

ومهما يكن من شىء فإليك ما يأتى خاصا بهذا الموضوع:

١- سيدنا آدم هو الخليفة فى الأرض، قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ** ﴾ [البقرة: ٣٠] فالملائكة لم تكن تعرفه من قبل وكانوا يظنون أنه سيفسد كما أفسد من قبله، ولن يكون على مثالهم هم من الطهر ودوام الطاعة لله، فهو خلق جديد عليهم.

٢- خلق آدم من تراب مبلَّل بالماء فصار طينا، ولما أمر الله الملائكة بالسجود له امتنع إبليس، قال تعالى: ﴿ **إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ** ﴾ [ص: ٧١-٧٤] وقد برّر

إبليس امتناعه عن السجود بقوله: ﴿ **قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ** ﴾ [ص:٧٦] فآدم خلق غير معروف من قَبْلُ للملائكة ولإبليس. فهو جديد عليهم ليس له مثال سابق .

٣- أن البشر جميعا منسوبون لأصلهم الأول، وهو آدم . قال تعالى: ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ** ﴾ [الأعراف:٢٧] فآدم أول المخلوقات البشرية .

٤- أن الله خلق من نفس آدم - أى مادته وهى التراب أو من جسمه بعد أن سواه ونفخ فيه الروح وهذا لم يدل عليه دليل قاطع - خلق من نفس آدم زوجها ليسكن إليها ويأنس بها وهى حواء، قال تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا** ﴾ [الأعراف:١٨٩] والنفس المذكورة هى آدم، ولفظ النفس مؤنث وإن كان معناه قد يكون مذكرا، فهو يطلق على الذكر والأنثى، مثل لفظ (شخص) يصلح لإطلاقه على كلا النوعين، ولفظ (الزوج) يطلق على الرجل والمرأة، فيقال: علىٌّ زوج فاطمة، وفاطمة زوج على، وهما زوجان. والمراد بالزوج فى هذه الآية حواء الأنثى، قال تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً** ﴾ [النحل:٧٢] فالخطاب لبنى آدم المذكور، والمنّة عليهم بأن جعل الله لهم من أنفسهم زوجات نساء، ومن هؤلاء الزوجات يأتى البنون والحفدة، فالرجال هم الأصل والنساء تبع لهم.

٥- خلق آدم أولا ثم خلق حواء، قال تعالى: ﴿ **خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا** ﴾ [الزمر:٦] فالتعبير بلفظ (ثم) يفيد الترتيب فى الزمن أو الرتبة، وهو على كل حال يفيد سبق آدم . ووجّه الله الخطاب فى القرآن لآدم وجعل حواء زوجه تبعا له، وهو يشعر بتقدم آدم عليها، قال تعالى: ﴿ **وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ** ﴾ [البقرة:٣٥] وكما تشير إليه آية سورة النحل السابقة «بند ٤» .

٦ – ضمير الخطاب والغيبة فى الآيات المذكورة كله مذكر وليس مؤنثا، فآدم ذكر وليس أنثى ﴿ **اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ** ﴾ [البقرة: ٣٥] ﴿ **فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ** ﴾ [الحجر: ٢٩].

ونخلص من هذا إلى حقيقتين، أولاهما: آدم هو أول البشر على الإطلاق، وثانيهما: أنه ذكر لا أنثى . واللغة العربية التى نزل بها القرآن هى التى أوصلتنا إلى هذا الاستنتاج ولم نجد فيما اطلعنا عليه أن أحدا من العلماء المسلمين قال غير ذلك، فصار إجماعا مستندا إلى ما ذكر من الأدلة .

وفى الختام أقول : إن محاولة التشكيك فى أن أول البشر ذكر هو آدم ممهدة للقول بنظرية « دارون » فى أصل الأنواع وفى النشوء والارتقاء التى تجوِّز أن آدم جاء نتيجة لتطورات خلقية سابقة قد يكون مبدؤها أصلا أنثويا وجدت فيه الروح فكان الكائن الحى الذى تطوَّر إلى آدم البشر السوى، ومعروف أن نظرية دارون لم تسلم من النقد ورفضها أكثر العلماء المحققين، لأنها تقوم على افتراضات غير ثابتة يقينا .

ومع ذلك فقد قلت فيما سبق: إن المسألة ليست اعتقادية ولا تتوقف صحة الإسلام عليها غير أن من خالف مواضعات اللغة العربية التى نزل بها القرآن الكريم كان معرَّضا للانزلاق إلى استنباطات واهية ونتائج غير صحيحة، قد تمس حقائق الدين المتفق عليها فيضل ويشقى، وهذا إلحاد فى التفكير يخشى أن يندرج تحت قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لاَ يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا** ﴾ [فصلت: ٤٠] وينبغى ألا نزجّ بالقرآن فى كل شىء لم يثبت . قال تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ**

تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران: ٧] .

س - هل صحيح أن آدم عليه السلام هو أول من تكلم اللغة العربية ؟

جـ - لا يوجد دليل يعتمد عليه فى معرفة اللغة التى كان يتكلم بها سيدنا آدم عليه السلام، وما نسب إليه من الشعر عند قتل ولده قابيل لا أصل له .

وفى تفسير القرطبى « ج١ ص٢٨١ » أن الروح نفخت فى آدم فلما وصلت إلى رأسه عطس، فقالت له الملائكة: قل: الحمد لله، فقال الحمد لله، فقال الله له: رحمك ربك . وهذا رواه السُّدِّى عن أبى مالك، وعن أبى صالح عن ابن عباس، وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود، وليس عليه دليل من قرآن أو سنة .

إن اختلاف اللغات أساسه أنها مواضعات بين جماعة من الناس اصطلحوا عليها للتعبير عن أفكارهم ولقضاء مصالحهم، واعتمدوا فيها - إلى جانب ما اعتمدوا - على تقليد أصوات الحيوانات والطيور وحركات الريح وغيرها. ولكل جماعة بيئتها وظروفها التى أمْلَتْ عليها اختراع اللغة التى يتفاهمون بها وآراء الباحثين فى هذا الموضوع كثيرة، والمهم أن نُعْنَى باللغة العربية لغة القرآن الكريم، لتصحيح العقيدة والسلوك وتقويم اللسان وزيادة الأجر .

س - جاءت بعض النصوص تدل على أن سيدنا إبراهيم شَكَّ فى قدرة الله، وأن النبى ﷺ قال «نحن أحق بالشك من إبراهيم» فكيف نفسر هذا ؟

جـ - فى كتاب « حياة الحيوان الكبرى » (ج١ ص٣٠٦) للدميرى وفى غيره من الكتب توضيح لقوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي المَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي** . . . ﴾ [البقرة: ٢٦٠] وقد جاءت هذه الآية بعد آية محاجّة النمرود لإبراهيم فى ربه الذى يحيي ويميت، وآية عزير فى إحياء القرية بعد موتها، وإحياء الحمار بعد موته، واختلفت الأقوال فى سؤال إبراهيم أن يريه ربه كيف يحيى الموتى، ولا يهمنا ذلك كثيرا، فالإجابة

واضحة وهى اطمئنان قلبه، فهو كان يعلم يقينا أن الله يحيي الموتى ولكنه أراد أن يصير له علم اليقين عين اليقين، لأن الخبر ليس كالمعاينة، وما أحسن قول بعضهم:

لئن كلمت بالتفريق قلبى فأنت بخاطرى أبداً مقيم

ولكن للعيان لطيف معنى لـه سـأل المعاينة الكليم

والذى يهمنا هو حديث رواه البخارى عن أبى هريره أن رسول الله ﷺ قال: «نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال رب أرنى كيف تحيي الموتى، قال: أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى، ورحم الله لوطا لقد كان يأوى إلى ركن شديد، ولو لبثت فى السجن ما لبث يوسف لأجبت الدعوة».

يقول المزنى: لم يشك النبى ولا إبراهيم صلى الله عليهما وسلم فى أن الله قادر على أن يحيى الموتى، وإنما شكًا فى أنه تعالى هل يجيبهما إلى ما سألاه أم لا، وقال الخطابى: ليس فى قوله «نحن أحق بالشك من إبراهيم» اعتراف بالشك على نفسه ولا على إبراهيم، لكن فيه نفى الشك عنهما: يقول: إذا لم أشك أنا فى قدرة الله على إحياء الموتى فإبراهيم أولى بألا يشك، وإنما قال ذلك على سبيل التواضع والهضم من النفس، وكذلك قوله «ولو لبثت فى السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعى» وفيه إعلام أن المسألة من إبراهيم لم تعرض من جهة الشك لكن من قبيل زيادة العلم بالعيان، فإن العيان يفيد من المعرفة والطمأنينة ما لا يفيد الاستدلال.

س - أين كان الحوار بين موسى والخضر ؟

جـ - الحوار موجود بالتفصيل فى سورة الكهف، والمفسرون وضحوه، فلنرجع إلى كتبهم، أما المكان الذى التقيا فيه أولا فهو مجمع البحرين، وفى تحديده خلاف كبير، والحوار حصل فى عدة أماكن، كما يدل عليه قوله تعالى:

﴿ **فَانطَلَقَا** ﴾ عند خرق السفينة وعند قتل الغلام وعند إقامة الجدار، والجدار كان فى قرية قيل إنها « أُبُلَّة » وقيل « أنطاكية » وقيل « باجَرْوان » بناحية أذربيجان، وقيل غير ذلك، والقرية تطلق قديما على المجتمع الذى يعيش فى غير الصحراء، أى فى أبنية، والفرق الآن بين القرية والمدينة هو بحسب العرف. ثم أنبه إلى أن الخلاف فى هذه الأمور لا طائل تحته، وكان من الممكن أن يبينها القرآن الكريم، ولعل عدم بيانها إشعار لنا بأن المهم هو ما فى هذا العمل من العبرة والموعظة بصرف النظر عن المكان الذى وقع فيه، وكم فى القرآن من أمور مبهمة فى القصص لا يضر الجهل بها، كما لا يفيد العلم بها فائدة تذكر.

س - لماذا طلب الله سبحانه من موسى عليه السلام أن يخلع نعليه فى الوادى المقدس طوى ؟

جـ - قال تعالى: ﴿ **فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى** ﴾ [طه: ١١ ، ١٢] ذكر القرطبى فى تفسيره اختلاف العلماء فى السبب الذى من أجله أمر موسى بخلع النعلين، فقيل لأن النعلين غير طاهرين، لأنهما من جلد غير مُذكًّى، أى غير مذبوح ذبحا شرعيا. وقيل لينال بركة الوادى المقدس وتمسَّ قدماه تربة الوادى، وقيل للخشوع والتواضع لله عند مناجاته وكذلك فعل السلف حين طافوا بالبيت، وذكر أقوالا أخرى كلها اجتهادية.

س - هل صحيح أن النبى ﷺ نهى عن تفضيله على سيدنا موسى عليه السلام ؟

جـ - روى البخارى أن النبى ﷺ قال « لا تخيرونى على موسى، فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق، فإذا موسى بجانب العرش فلا أدرى أكان موسى فيمن صعق فأفاق قبلى، أو كان ممن استثنى الله » .

هذا الحديث يدل على ميزة لسيدنا موسى عليه السلام، وأود أن يعرف

الناس أن المزية لا تقتضى الأفضلية، فالميزات منح من الله يهبها لمن يشاء من عباده، وسيدنا محمد ﷺ وهو خاتم الأنبياء المرسلين وصاحب الشفاعة العظمى والمقام المحمود وصاحب الإنعامات الكبيرة فى الإسراء والمعراج وغيرها من أنواع التكريم - حمله كرم أخلاقه وحرصه على السلام على أن يحذر الناس من الخوض فى الحديث عن تفاضل الأنبياء، وجاءت فى ذلك حوادث ونصوص كثيرة، وإذا كان هناك انحراف من أتباع بعض الأديان يجعل المسلمين على حذر منهم وردٍّ عدوانهم أو الوقوف أمام ظلمهم - فإن ذلك لا يعنى الانتقاص من أقدار الأنبياء الذين ينتسب إليهم هؤلاء المنحرفون زورا - فإن الأنبياء جميعا إخوة واحترامهم جميعا واجب «لا نفرق بين أحد منهم» فى الإيمان والاحترام .

س - هل كان هارون عليه السلام رسولا أم نبيا ؟

جـ - الرسول إنسان أوحى إليه بشرع يعمل به وأمر بتبليغه للناس، أما النبى فهو إنسان أوحى إليه بشرع يعمل به ولم يؤمر بتبليغه للناس، وسيدنا هارون رسول من عند الله أرسله إلى فرعون، قال تعالى لموسى: ﴿ **اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلاَ تَنِيَا فِي ذِكْرِي * اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى * قَالا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى * قَالَ لاَ تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى * فَأْتِيَاهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى** ﴾ [طه:٤٢ ، ٤٧] . وجاء مثل ذلك فى سورة الشعراء: ﴿ **فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [الشعراء:١٦] . ومادام هارون رسولا فهو نبى أيضا، لأن الرأى الصحيح أن كل رسول نبى وليس كل نبى رسولا .

س - من هو زكريا، وما معنى قوله تعالى ﴿ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ﴾ ؟

جـ - ليس هناك نسب يعتمد عليه لزكريا فى القرآن والسنة، وفى سفر زكريا فى العهد القديم «ص٨٠٨» أنه زكريا بن برخيا بن عدو النبى . والله أعلم

بصحة ذلك . وامرأة زكريا كانت عاقرا لم تلد، كما قال سبحانه: ﴿ **وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً** ﴾ [مريم:٥] فلما دعا زكريا ربه أن يهبه وليًّا يرثه بشره الله بيحيى، فحملت زوجته وولدته، وهذا هو المقصود بإصلاح زوجته، أى يجعلها صالحة بعد العقم، كما قال تعالى: ﴿ **فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ** ﴾ [الأنبياء:٩٠] كما عليه أكثر المفسرين، وقال ابن عباس وعطاء : كانت سيئة الخلق طويلة اللسان، فأصلحها الله وجعلها حسنة الخلق، لكن الظاهر هو القول الأول .

س - هل فى الكتب السماوية السابقة صفة محمد ﷺ وأن عيسى بن مريم يدفن معه ؟

جـ - رأيت فى كتاب « خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى » للشيخ السمهودى (ص٢٠٦) ما نصه:

جاء فى رواية أن موضع القبر الباقى فى السهوة الشرقية قال سعيد بن المسيب: فيه يدفن عيسى بن مريم عليه السلام، والسهوة قيل كالصفَّة وقيل شبه المخدع والخزانة. وللترمذى من طريق أبى مودود عن عثمان بن الضحاك عن محمد بن يوسف عن عبد الله بن سلام عن جده قال : مكتوب فى التوراة صفة محمد وعيسى بن مريم يدفن معه . قال : فقال أبو مودود: وقد بقى فى البيت موضع قبر. قال الترمذى: حديث غريب، وفى بعض النسخ: حسن غريب، وهكذا قال عثمان بن الضحاك. والمعروف الضحاك بن عثمان. ا هـ .

ولفظ الطبرانى: يدفن عيسى بن مريم عليه السلام مع رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر رضى الله عنهما، فيكون قبرا رابعا، وفيه رأى فى السند - عثمان ابن الضحاك - وثقه ابن حبان وضعفه أبو داود، وقد أخرجه أبو ذر الهروى فى كتاب السنة له من طريقه .

من هذا نرى أن هذا الخبر لم يرد بطريق صحيح، وحكم عليه الترمذى بأنه حسن غريب، أى رواه راوٍ واحد فقط. وأن أحد رجال السند فيه خلاف بين توثيقه وضعفه. وبهذا لا يلزمنا تصديق الخبر كعقيدة، وإن كان ذلك فى أصله ممكنا غير مستحيل مخالفا للأصول المقررة .

س - هل ورد حديث يقول «لوبقى إبراهيم - أى ابن النبى ﷺ - لكان نبيا ؟

جـ - جاء فى شرح الزرقانى للمواهب اللدنية « ج٣ ص٢١٤ » أنه روى من حديث أنس بن مالك موقوفا عليه - أى غير مرفوع إلى النبى ﷺ - أنه قال: «لو بقى إبراهيم ابن النبى لكان نبيا، ولكن لم يبق، لأن نبيكم آخر الأنبياء» أخرجه ابن عبدالبر . وقال الطبرى : إنما يقوله أنس عن توقيف، أى نص من الشارع يخص إبراهيم . فلا يلزم أن يكون ابن النبى نبيا، بدليل نوح وابنه، وكذا آدم وأولاده، لم ينبَّأ منهم إلى شيث. وفى بعض الروايات لابن ماجه والبيهقى «لو عاش لكان صدّيقا نبيا، ولو عاش لأعتقت أخواله من القبط، وما استرق قبطى» وسنده ضعيف، وصححه بعضهم، وتفصيل ذلك يرجع إليه فى هذا الكتاب .

* * *